



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

مجلة الجامعة الإسلامية

لغة العربية وآدابها

مجلة علمية دورية محكمة

يناير - مارس ٢٠٢٣ م

الجزء : ٢

العدد : ٧



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

<http://journals.iu.edu.sa/ALS/index.html>

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:

asj4iu@iu.edu.sa

البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. عبدالرحمن بن دخيل ربّه المطرفي

(رئيس التحرير)

أستاذ الأدب والنقد المشترك بالجامعة
الإسلامية

د. إبراهيم بن صالح العوفي

(مدير التحرير)

أستاذ النحو والصرف المشترك
بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالعزيز بن سالم الصاعدي

أستاذ النحو والصرف بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن محمد علي العوفي

أستاذ اللغويات المشترك بمعهد تعليم اللغة
العربية بالجامعة الإسلامية

د. مبارك بن شتيوي الحبشي

أستاذ البلاغة المشترك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد بن صالح الشنطي

أستاذ الأدب والنقد بجامعة جدرا-الأردن

أ.د. علاء محمد رأفت السيد

أستاذ النحو والصرف والعروض
بالجامعة القاهرة

أ.د. عبدالله بن عويقل السلمي

أستاذ النحو والصرف

بالجامعة الملك عبدالعزيز بجدة

قسم النشر: د. عمر بن حسن العبدلي

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمد بن يعقوب لركستاني

أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد محمد أبو موسى

أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة
العربية جامعة الأزهر

أ.د. توكي بن سهو العتيبي

أستاذ النحو والصرف بجامعة الإمام محمد
بن سعود الإسلامية

أ.د. عبدالرزاق بن فراج الصاعدي

أستاذ اللغويات بالجامعة الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الحماش

أستاذ اللغويات في جامعة الملك
عبدالعزیز

أ.د. محمد بن مريسي الحارثي

أستاذ الأدب والنقد في جامعة أم القرى

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد

أستاذ الأدب والنقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان

أستاذ الأدب والنقد. تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي

أستاذ الأدب الأندلسي في جامعة
الإمارات العربية المتحدة

أ.د. عمر الصديق عبدالله

أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة
أفريقيا العالمية-الخرطوم

د. سليمان بن محمد العدي

وكيل وزارة الإعلام سابقاً

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتسم بالأصالة والجدة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- ألا يكون مستقلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:
 - عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
 - مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
 - كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
 - مقدّمة.
 - صلب البحث.
 - خاتمة تتضمّن النتائج والتوصيات.
 - ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
 - رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.
- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثه فيه، و (١٠) مستلّات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤوّل حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقياً أو إلكترونياً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحليّة والعالمية - بمقابل أو بدون مقابل - وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة - في أي وعاء من أوعية النّشر - إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: <http://journals.iu.edu>.

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
(١)	شرح شواهد سيبويه لأبي جعفر النحاس بين المطبوع والمنقول د. أحمد بن عتيق بن راضي الحربي	٩
(٢)	تركيب المزج وأثره في الإعراب والبناء د. محمد بن عبد الله بن صويلح المالكي	٩٥
(٣)	النون الساكنة الوسطى "دراسة صرفية دلالية" د. حمد بن عبيد بن ريدان الرشيدى	١٤٩
(٤)	الأعلام المختومة بإيل دراسة تأصيلية نحوية د. آلاء بنت منصور بن صالح اليوسف	٢٢٩
(٥)	مدى توظيف متعلمي اللغة العربية الناطقين بلغات أخرى في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للإشارات التداولية في كتاباتهم ماجد بن سليمان صالح العبدالله الحزري	٣٠٧

م	البحث	الصفحة
(٦)	الحِجَاجُ المُسَكَّتُ بِأَيَاتِ القُرْآنِ فِي نَمَازِجٍ مِنْ أَدَبِ الأَخْبَارِ أ.د. النوراني عبد الكريم كبور جبير	٣٤٣
(٧)	حِجَاجِيَّةُ الوصِيَّةِ فِي خُطَابِ المَرَأَةِ الجَاهِلِيَّةِ وَصِيَّةُ أَمَامَةِ بِنْتِ الحَارِثِ لِابْنَتِهَا نَمُودَجًا د. خالد سعيد أبو حكمة	٣٩٧
(٨)	المَقُولَةُ فِي التَّرَاثِ العَرَبِيِّ: مفهوم الشعر في "العمدة لابن رشيق" نموذجاً د. سمير الأزهر جوّادي	٤٣٧
(٩)	مناقضة المعنى الشعري عند القدماء: مقارنة حجاجية د. محمد بن سعيد اللويحي	٤٨٧
(١٠)	قواعد التمييز بين السرقات الأدبية قديماً وحديثاً د. مسلم عبید الرشيدى	٥٥١
(١١)	التماثل والتقابل في شعر حاتم الطائي (دراسة وصفية إحصائية) د. نوف بنت سالم الشمري	٦١٣

حجاجية الوصية في خطاب المرأة الجاهلية وصية أمامة بنت الحارث لابنتها نموذجاً

Argumentative Discourse of Testament and its
Strategic Issues in Pre-Islamic Times:
Umama Bint Al-Harith's Testament to her Daughter
as a Case Study

د. خالد سعيد أبو حكمة

أستاذ اللغويات المساعد بقسم اللغة العربية بكلية العلوم الإنسانية بجامعة الملك خالد

البريد الإلكتروني: kshekmad@kku.edu.sa

ملخص البحث

يتحدد موضوع البحث من عنوانه الموسوم بـ (حجاجية الوصية في خطاب المرأة الجاهلية)، وهو من الموضوعات التي شغلت النقاد ومدت أسبابها في الوعي الاجتماعي العربي قبل الإسلام، إذ تداعت له الأسباب والمحفزات المنهجية لمقارنته؛ لأنه يقرب المسافة بين الوالد والولد، والذات والمجتمع، ويرسم خطوطاً قديرة في مساق الهوية والشعور بالمسؤولية الاجتماعية في الخطاب النسوي في الموروث الأدبي. وتبرز مشكلته من هذه المسألة، إذ تنشأ الإشكالية في التواصل البشري بين الأقارب وغيرهم، الأمر الذي منح الأم سلطتها الأسرية وحفزها للنهوض بالمسؤولية الاجتماعية عبر خطاب موجه، غايته الإقناع بأهمية العلاقة الزوجية، على هذا النحو بعث فينا الرغبة لمساءلته واستكشاف الملمح الحجاجي و أبعاده في ضوء المنهج التداولي، انطلاقاً من آراء جون سيرل وديكرو وأنسكومبر فيما يخص الوسائل اللغوية من الأفعال والروابط والعوامل الحجاجية، ولم يسلم البحث من التوسع، بمقتضى الضرورة المنهجية، إذ بدا لنا من الأهمية بمكان الإفادة من رؤية بيرلمان وتتيكاه في سياق البلاغة الجديدة، إذ ألفينا زوايا مهمة ينبغي تجلية مساق الحجج شبه المنطقية، باعتبارها عناصر مؤسسة لخطاب الوصية، وأساليبها التصويرية كالاستعارة و الكناية، وما اقتضت به الضرورة من الأساليب البديعية، إذ تستدعي المؤسسة الاجتماعية تعزيز الأخلاق العربية، وإشاعة كل ما يخدمها من لغة العرب، وأعرافهم وعاداتهم؛ مما يجعل من النظرية الحجاجية نَهجاً قادرًا على تشييد المادة الخطابية؛ لفهم طرق القول التي هي أيضاً طرق للفعل. ولعل من أهم النتائج التي سجلها البحث أن خطاب الوصية في التراث العربي يقدم مثلاً حياً للممارسة الحجاجية الفاعلة في أبعادها البلاغية والتداولية والمنطقية، كما أسهم المنهج الحجاجي في إثبات نصية الخطابات المنجزة، وتفسير نوعية العلاقة التواصلية القائمة بين المتكلم (الموصي) والمتلقي (الموصي لها) عبر نص الوصية المنتج، وكذا نوع الأفعال اللغوية والأساليب التداولية المنجزة في مقامات التواصل المختلفة.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، الوصية، الخطاب، الإقناع، التصوير، الوسائل الحجاجية.

Abstract:

The present study investigates the discourse of argumentation and its strategic issues in pre-Islamic women's literature. It falls within a more general problem, namely argumentative communication in the literary text, and it integrates argumentation in the social perspective of discourse as a founding element. The social perspective of discourse is not only restricted to the way in which arguments are built within the discourse, but rather calls for everything related to the institution and social dimensions, including the traditions, customs, restrictions and obstacles that they impose. These requirements make argumentative practice possible only through social and institutional frameworks. This makes argumentative theory an approach capable of constructing rhetorical material, in order to understand ways of saying that are also ways of doing. The purpose of the present study is not only to focus on the linguistic and rhetorical dimensions of the argumentation, with its persuasiveness and influence, but also to highlight how the analysis performs when the argumentative elements are integrated. In addition, the present study purports to highlight speech performance and its achievement value. As such, this study will attempt, based on the reference of researcher "Ruth Amossy" when we analyze the prose text in pre-Islamic women's literature "The will of Umama bint Al-Harith to her daughter", to raise and answer some questions concerning the place of argument in discourse analysis.

مقدمة

اكتسبت المرأة العربية شهرة كبيرة، شاعرة وأديبة، وناقدة وحكيمة في مختلف العصور، ولكن أدب المرأة الجاهلية لم يحظ بالقدر نفسه من الاهتمام الذي حظي به أدب الرجال من الدراسة والتقصي في جوانبه الحجاجية، إذ اقتصرت دراسة الخطاب النسوي من قبل الباحثين على الجوانب البلاغية واللغوية والفنية، والمتتبع لهذا الخطاب في مختلف العصور يجد تطورًا في تداوليته، ووظائفه الحجاجية، على النحو الذي يغري بالبحث ويسعف في المعالجة.

وقد ظهر البعد الحجاجي في خطاب المرأة الجاهلية عند بعض الشعراء والأدباء، وكان لأدب النساء في العصر الجاهلي حظ من هذا النمط الحجاجي، فقد ظهر من خلال التتبع لآثار هؤلاء الأديبات مدى قوة الحجاجية وخطابية القول الإقناعي القائمة على أساس من العاطفة في أحيان كثيرة، تمثلت في أغراض أدبية كالوصية والحكم والنصائح، حيث ارتادت المرأة العربية الوصية، كما ارتادت الخطابة، ولا غرو في ذلك، فقد نخلت مع الرجل من معين واحد، واستقتت من البيئة الأصول نفسها، وعاشت الأحداث والمؤثرات نفسها، فكان لها وصايا شاهدة في الأدب العربي، ولم تقل شأنًا عن وصايا الرجال، وقد تنوعت موضوعات وصايا المرأة بين سياسية واجتماعية ودينية، كما انطبعت وصاياها بطابع العصر الذي عاشت فيه، وبرزت سمته فيما كتبت موضوعيًا وفنيًا^(١).

(١) الحراحشة، أمينة عبد المولى، "قراءة جديدة في وصايا المرأة العربية في العصر الجاهلي"، مركز اللغات، الجامعة الهاشمية، (المملكة الأردنية الهاشمية. مؤتمر آفاق الخطاب النقدي الدولي الثالث الخطاب الأدبي في العصر الجاهلي: الرؤى والتحديات جامعة آل البيت، أكتوبر ٢٠١٦)، ١٨: ١٩.

وعلى هذا الأساس فإن التراث العربي مازال يزخر بالعديد من الموضوعات التي لم تأخذ حظها، أو لم تستوف حقها من المعالجة بأدوات المناهج الحديثة، الأمر الذي يجعلنا معنيين بهذا المنهج. ولعل ما التقطناه في سياق البحث عن نموذج يغني الدراسة، ويعزز موقعها في خارطة الدراسات الحديثة، وهو في الوقت نفسه كاف للاقتناع بوصية أمامة بنت الحارث، التي رسمت ملمحاً عربياً في خطاب المرأة العربية، في سياق تفاعلها مع قضايا المرأة، وترميم كسور الحياة الاجتماعية في عصرها، أو خلق أنموذج رفيع في عائلتها، وهي بذلك تمنحنا المشاركة في وضعية جديدة من البحث طبقاً لمبادئ الخطاب الحجاجي بآلياته اللغوية والبلاغية، التي تستهدف " تعديل أو تثبيت موقف أو سلوك المتلقي بالتأثير فيه بالخطاب، أي بالكلام، سواء كان ذلك الكلام يغترف من معين العقل، أو من معين العواطف والانفعالات" (١)، إيماناً بأن الحجج منوطة بالأدلة الدامغة، أو بتشوير الخطاب الاحتمالي الذي يجد مسلكاً لإنجاز الوظيفة التواصلية بين طرفي التخاطب، ذلك إنَّ التواصل البشري كما يرى المختصون وتشهد به العلاقات الإنسانية في جوهره قائم على الحجاج، إلى حدّ " أنّ المرء ليسلم بأن لا تواصل من غير حجاج" (٢)، ويمكن تفسيره بأن الحجاج مرده العقل، وداخل في بناء الحجج؛ لذلك يتميز الخطاب الاجتماعي بمقتضى ما ورد في وصية أمامة بنت الحارث بأنه خطاب حجاجي بامتياز؛ لأن وصيتها كانت موجهة، ومبنية على أهداف واضحة، وغايات ضمنية، بل إن خطابها في الوصية كان ثمره أو

(١) الولي، د. محمد الولي، "مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان"، مجلة عالم الفكر،

تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٤٠ (٢)، (٢٠١١): ١٧.

(٢) عبد النبي، ذاكراً، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية تطبيقية في البلاغة الجديدة، مجلة

عالم الفكر، الكويت، ٢(٤)، (٢٠١١): ٧.

مسوِّغًا بظروفه التي أنتجت في البيئة الجاهلية، ومحكومًا بظروف تداولية، لها بواعثها في تحسين القول، وجودة العمل؛ رغبة في الدفاع عن فكرة المرأة المثالية، وتقديم أنموذج تعزز به في الحياة الاجتماعية عند العرب، وربما سوَّغت لها الفكرة لتصحيح المسار الأخلاقي الذي شاع قبل الإسلام نحو المرأة، فكانت وصيتها خطوة استباقية لتعديل فكرة الرجل عن المرأة، أو تقويض اعتقاد فاسد، أو غير ذلك من الإكراهات الاجتماعية والثقافية بين المرأة والرجل العربي، وكذلك يزيد من قيمة المدونة أن الوصية صارت في الوعي النقدي لدى الباحثين أشبه بدستور العلاقة الزوجية. (١)

وبناء على هذه المعطيات؛ تبرز أهداف البحث فيما لم يتفوه به نص الوصية المكتوب، إذ يمكن مقارنته من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما الحجاج؟ وما آلياته الإقناعية التي وظفها المختصون في مقارنة الخطابات؟
- ما الخصائص النوعية التي جعلت من الوصية خطابًا حجاجيًا؟
- ما الاستراتيجية الحجاجية التي تحققت في وصية أمامة بنت الحارث، وأسهمت في تمثيل خطاب المرأة الجاهلية؟
- كيف أسهمت آليات الحجاج اللغوية وتقنياته في استكشاف معالم الإقناع والتأثير في المدونة؟

وفي ضوء الأسئلة يمكن تحديد أهداف البحث من خلال النقاط الآتية:

- الوقوف على مفهوم الحجاج وآلياته التي عني بها المختصون، وتنوعت نحوها اهتماماتهم.
- محاولة استكشاف الاستراتيجية الحجاجية التي تحققت في وصية أمامة بنت

(١) عوض، محمد صادق عبده، "دستور العلاقة الزوجية في ضوء وصية أمامة بنت الحارث"، قدم له الدكتور الطاهر أحمد مكي، اعتنى به بهاء الدين عقيل، (ط١، دار طيبة، ١٤٣٠هـ).

الحارث، وأسهمت في تمثيل خطاب المرأة الجاهلية.

- معرفة طرائق المقاربة المنهجية واللغوية لآليات الإقناع بالحجاج في المدونة.

- بيان الخصائص التي جعلت من الوصية خطاباً حجاجياً.

وتتجلى أهمية هذه الدراسة، أكثر، في كونها مختصة بأدب فعة كان لها إنتاجها الأدبي في العصر الجاهلي؛ ولكن لم تحصل على القدر الكافي من الدرس والتحليل، ولذا فإنها تستمد أهميتها من قيمتها المعرفية التي تحققها في خطاب المرأة الجاهلية، وتبثها في عقول الباحثين العرب.

ولعل هذه الأهمية مسوغة للنظر فيما يتميز به خطاب الوصية من خصائص تستدعي الدرس والبحث، بحيث يمكن أن نفترض بأن هذا النوع يلجأ إلى الحجاج بواسطة الإيتوس؛ أي ما يتعلق بسمة الموصي وأخلاقه ومصداقيته، وكل ما يجعله «أهلاً لأن يُصدّق ويقبل قوله»^(١)، فللموصي دور فعّال في تحقيق عملية الإقناع؛ لذلك ينبغي أن يكون موضع قبول خلال «بث الخطاب وتلقيه»^(٢). وما يتعلق بأحوال السامعين وأهوائهم ونوازعهم الموصى لهم الباتوس. ثم ما يتعلق بخطاب الوصية وما تحمله اللغة من حجج منطقية تمثل الجانب العقلائي في السلوك الخطابي، وترتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي اللوغوس^(٣). ومن ثمّ؛ فإن الأهمية وأهداف البحث وتساؤلاته يفرض المنهج التداولي عمدة

(١) أرسطو طاليس، "الخطابة: الترجمة القديمة"، تحقيق: بدوي، (بيروت: دار القلم). ٩٣.

(٢) محمد الولي، "الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية"، (الرباط: دار الأمان، مطبعة الكرامة، ٢٠٠٥)، ٣١.

(٣) محمد طروس، "النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية"، (ط ١، الدار البيضاء: دار الثقافة، الدار البيضاء، ٢٠٠٥)، ١٨.

في النظر لانسجامه مع طبيعة الدراسة، ومخططاتها، على نحو يغدو الحجاج ثمره التداولية في سياقها الاستعمالي، ومرادها الإقناعي.

على أن الدراسات السابقة، وغياب مساقها الحجاجي في المدونة يدعم مسار البحث، ويعزز رغبة الباحث في استقصاء أبعاده، إذ لم نجد ما يمنع من إثارة أفكاره، والمضي في مقارنته، ومنها:

١. الحراشنة، أمينة عبد المولى: قراءة جديدة في وصايا المرأة العربية في العصر الجاهلي، مركز اللغات، الجامعة الهاشمية، المملكة الأردنية الهاشمية. مؤتمر آفاق الخطاب النقدي الدولي الثالث الخطاب الأدبي في العصر الجاهلي: الرؤى والتحديات جامعة آل البيت ١٨/١٩ أكتوبر ٢٠١٦.

٢. عوض، محمد صادق عبده، دستور العلاقة الزوجية في ضوء وصية أمامة بنت الحارث، قدم له الدكتور الطاهر أحمد مكّي، اعتنى به بهاء الدين عقيل، دار طبية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

فمسلكتها ومتصوراتها مختلفة تمامًا عن مسار هذا البحث، وآليات اشتغالها مغايرة له، الأمر الذي يعطي هذا البحث الصلاحية في الدراسة، وجدة المنظور المعرفي. وتتكون هذه الدراسة من تمهيد، وثلاثة مباحث: سيتناول التمهيد: مفهوم الحجاج، ومنطلقاته، وآليات اشتغاله، وخصائصه الإقناعية.

والمباحث على النحو الآتي:

أولاً: وصية أمامة بنت الحارث بوصفها خطابًا حجاجيًا.

ثانيًا: استراتيجية الحجاج البلاغي في وصية أمامة بنت الحارث الشيباني لابنتها أم إياس.

ثالثًا: الوسائل اللغوية الحجاجية في وصية أمامة بنت الحارث.

أولاً: مفهوم الحجاج، ومنطلقاته، وآليات اشتغاله، وخصائصه الإقناعية.

١- الحجاج لغة:

ارتبط الحجاج بالتواصل البشري، الذي ينشأ بين طرفين متخاطبين، يحاول أحدهما التأثير في الآخر بوساطة الحجج، ومجاله الاختلاف الفكري بين المتحاجين. ويقترن مصطلح الحجة والحجاج في المعاجم العربية بدلالة الغلبة في التنازع، فقد جاء في لسان العرب أن الحجاج لغة/ من حاجّ وحاججته أحاجّه حجاجًا ومحاجّة حتى حججته، أي غلبته بالحجج التي أدليت بها (...). وحاجّه محاجّة وحجاجًا: نازعه الحجة (...). والحجة الدليل والبرهان^(١). وجعله ابن منظور مرادفًا للجدل، إذ الجدل عنده «مقابلة الحجة بالحجة»^(٢). والحجة: الدليل والبرهان^(٣) والعلامة^(٤) والبينة^(٥).

وللحجاج صلة بالجدل والخصام، تبعًا للمقام الخطابي الذي يرد فيه المصطلح، ولا تعني المنازعة والخصام فسح المجال للعنف المادي أو المعنوي؛ ولكنه لتبكيك الخصم عن طريق الأدلة والبراهين، وإفحامه. وبالرجوع إلى أصل المصطلح، نجد كلمة Argument «أخذت من الفعل اللاتيني Argure، وتعني جعل الشيء واضحًا ولامعًا

(١) محمد بن مكرم ابن منظور، "لسان العرب"، تحقيق علي سيري، (ط١)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨ هـ - ١٩٩٨ م). مادة: حجج.

(٢) المصدر نفسه، مادة: جدل.

(٣) المصدر نفسه، مادة: حجج.

(٤) أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، "المنهاج في ترتيب الحجاج"، تحقيق: عبد المجيد تركي، (ط٢)، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٧، ١٩.

(٥) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، "الكافية في الجدل"، تحقيق: فوقية حسين محمود، (القاهرة: طبعة البابلي الحلبي، ١٩٧٩)، ٤٨.

وظاهرًا، وهي بدورها من جذر إغريقي (Argues) apyms ويعني أيضًا لامعًا^(١). يتضح من خلال التعريف اللغوي أن معاني الحجاج متعددة، وهو مصطلح يحمل مجموعة من الدلالات التي ترتبط بالسياق. فعملية التنازع الفكري والحوار هي محطات تواصلية حجاجية مع الآخرين، وهدف الحجاج هو إقناع المتلقي وجلبه إلى قبول ما يعرض عليه، والتسليم به بواسطة الأدلة والحجج العقلية.

٢- الحجاج في الاصطلاح

أما في التعريفات الاصطلاحية، فنجد أن الحجاج عبارة عن علاقة تخاطبية بين المتكلم والمخاطب (المتكلم والمتلقي) حول موضوع معين، فالمتكلم يدعم قوله اعتمادًا على براهين وحجج وأدلة، فضلًا عن توظيفه لأساليب الحجاج اللغوية من نفي وتوكيد وغيرها، للدفاع عن وجهة نظر معينة بهدف الإقناع والتأثير على المتلقي؛ تأكيدًا أو تنفيذًا، أو بغية الإفهام، كما ذكر طه عبد الرحمن بأن الحجاج «كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها»^(٢).

وبذلك، فالمتلقي له حق الاعتراض على كلام المتكلم إن لم يقتنع به، وهدف الحجاج عند طه عبد الرحمن هدف إفهامي إقناعي، وعلى هذا المنوال يسير حبيب أعراب، إذ ربطه بالإقناع، فهو في تصوره "خطاب صريح أو ضمني يستهدف الإقناع والإفهام معًا، مهما كان متلقي هذا الخطاب، ومهما كانت الطريقة المتبعة في ذلك»^(٣).

(١) حافظ إسماعيل علوي، "الحجاج مفهومه ومجالاته"، (الأردن: إربد: عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠١٠)، ج ١، ٢.

(٢) طه عبد الرحمن، "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي"، (المغرب، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي): ٢٢٦.

(٣) حبيب أعراب، "الحجاج والاستدلال الحجاجي استقصاء نظري"، مجلة عالم الفكر، المجلس

ويقترح الحجاج في الخطاب، مفهوم الحجاج المنحدر من البلاغة القديمة، وهو مفهوم يتعدى الفصل بين البلاغة وعلوم اللغة. وبعيداً عن هذه الحدود، يتفق جميع الباحثين اليوم على اعتبار الحجاج في الخطاب مرتبطاً بتحليل الخطاب وبالتالي بعلوم اللغة.

نخلص مما تقدم أن الحجاج يعتمد على مرسل ومستقبل أو مُرسل إليه، وغايته الوصول إلى إقناع السامع، واستمالاته، والتأثير على سلوكه، باستعراض مجموعة من الحجج والأدلة المؤدية إلى النتيجة المطلوبة، وعلى المرسل أن يكون بارعاً في اختيار هذه الحجج؛ نظراً لتفاوتها في درجة الإقناع.

ويؤول تعقد المعنى الاصطلاحي للحجاج إلى تنوع مشاربه وروافده، فهناك حجاج صريح، وحجاج مضمّر، كما أن استعمالاته تحضر في الكثير من المجالات، كالقضاء، والإشهار، والسياسة، والدين، والأدب. إذ شكّل مثار اهتمام اللغويين، والفلاسفة، والمناطقة والبلاغيين، فظهرت جملة من النظريات التي حاولت أن تُحدد مفهومه منطقيًا ولسانيًا وبلاغيًا.

٣- منطلقات الحجاج:

يقصد بها ما يتوسل به المتكلم في سياق حجاجه، وما يعينه على بناء استدلاله، أي مجموعة من المسلمات التي يقبل بها الجمهور^(١). ويمكن تلخيصها في: (الوقائع والحقائق، الافتراضات، القيم، الهرميات، المواضيع: مواضع الكم، ومواضع

الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع ٣٠، ١ (٢٠٠١): ٩٩.

(١) عبد الله صولة، "الحجاج أطره، ومنطلقاته وتقنياته، ضمن أهم نظريات الحجاج، في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"، فريق البحث في البلاغة والحجاج. (كلية الآداب منوبة تونس. إشراف حمادي صمود): ٣٠٨.

الكيف، ومواضع الترتيب، ومواضع الموجود.)

وهذه المنطلقات لاشك أنها منوطة بما ينشأ في سياق الخطاب التداولي من قيم وعلاقات بين المتخاطبين، بمعنى أن بناء الحجاج في المدونات والتخاطب مرهون بالنظر في هذه الركائز، إذ لا يبنى الحجاج ولا يستقيم الخطاب ما لم يتبين المتكلم مسافات خطابه، فليس ثمة خطاب يبني في الفراغ، ولا ينشأ عبثًا، ومن ثم فإن اعتماد هذه المنطلقات مسنودة ضمناً بما تقتضيه من آليات، وما تركز إليه النصوص والخطابات من سياقاتها المتنوعة، بوصفها مقدمات أساسية، ويبني الحجاج على هذه المقدمات، فهي منطلقات صالحة تقوم على الحس المشترك الموجود بين أفراد جماعة ما، وعلى الخطيب أن يحسن الاختيار بينها كي تكون فعالة إذ "لا يكفي أن تكون للخطيب مقدمات، بل لابد من إيقاع الاختيار بينها." (١)

تلك هي لازمة الصحة، ومسلمات المنطلق الحجاجي في تمثيله التداولي التي ستعيينا في استكشاف الخريطة الذهنية للوصية، ومستلزمات الحوار بين الأم وابنتها، على أننا لن نتناول هذه المنطلقات بتفاصيلها، وإنما هي المسار الذي نفتقيه بصورته الذهنية المضمر، ونسير بما تقتضيه، وتوجهنا نحو آفاقه.

أولاً: الوصية بوصفها خطاباً حجاجياً.

روى العباس بن خالد السهمي أن عمرو بن حجر خطب أم أياس ابنة عوف بن محلم الشيباني من أبيها، فقال: نعم، أزوجكما، على أن أسمى بניהا، وأزوج بناتها. فقال عمرو بن حجر: أما بنونا فنسميهم بأسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا، وأما بناتنا فننكهنهن أكفاءهن من الملوك، ولكنني أصدقها عقاراً في كندة، وأمنحها حاجات قومها، لا تردّ لاحد منهم حاجة! فقبل ذلك منه أبوها، وأنكحه إياها؛ فلما كان

(١) المرجع نفسه، ص: ٣١٤.

بناؤه بما خلت بها أمها، فقالت:

"أي بنية: إن الوصية لو تركت لفضل أدب، تركت لذلك منك؛ ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها، وشدة حاجتها إليها، كنت أغنى الناس عنه؛ ولكن النساء للرجال خلقن، وهن خلق الرجال.

أي بنية: إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً؛ فكوني له أمة يكن لك عبداً وشيكاً. أي بنية: احلمي عني عشر خصال تكن لك ذخراً وذكرًا، الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتعهد لموقع عينه، والتفقد لموضوع أنفه؛ فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، والكحل أحسن الحسن، والماء أطيب الطيب المفقود، والتعهد لوقت طعامه، والهدوء عنه عند منامه؛ فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة، والاحتفاظ ببيته وماله، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله؛ فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، والإرعاء على العيال والحشم جميل حسن التدبير، ولا تفشي له سرًا، ولا تعصي له أمرًا؛ فإنك إن أفشيت سره، لم تأمنى غدره، وإن عصيت أمره، أو غرت صدره، ثم انقي من ذلك الفرح إن كان ترحًا، والاكتئاب عنده إن كان فرحًا؛ فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وكوني أشد ما تكونين له إعظماً، يكن أشد ما يكون لك إكرامًا، وأشد ما تكونين له موافقة، يكن أطول ما تكونين له مرافقة، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين، حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت، والله يخير لك"^(١).

(١) أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٤هـ، ٧/ ٩٠. الأبيشي، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور، "المستطرف في كل فن مستطرف"،

في ضوء ما نصت عليه وصية أمامة بنت الحارث الشيباني في صيغتها السابقة يمكن القول: إنها تندرج ضمن كل ما له صلة بسياق التخاطب بين المتكلم، ومتلقي الخطاب (الموصية والموصى لها). ومعلوم أن الحجاج يرتبط بالمقام؛ لأن الحجاج يمثل بؤرة الخطاب بشكل عام، فلا يستقيم إلا به، إذ لا يوجد خطاب يخلو من حجاج بشكل صريح أو مضمّر، «فلا خطاب بغير حجاج»^(١).

كما أن صياغة الكلام الخطابي/ الحجاجي مرهون بعواطف الموصية، والموصى لها، والوصية تؤثر في السياق وتتأثر به، وتتأثر بالانفعالات؛ كونها عاملاً مساعداً على الإقناع، ولذلك اتخذ لها أرسطو موقعاً حاسماً في نظيره الخطابي في قوله: «والعواطف مصحوبة بالألم أو اللذة، ويحمل تغييرها على تغيير الناس في أحكامهم، كالغضب والرحمة والخوف، وكل الانفعالات من هذا النوع. وكذلك ما يضادها من انفعالات»^(٢). حيث أدركت الأم أمامة بنت الحارث الشيبانية - بأحاسيس المرأة العربية الحكيمة، وانطلاقاً من ماضي خبرتها الزوجية وحاضرها - أن الأسرة كيان بنّاء، أو بناء اجتماعي مترابط، يقتضي نباهة ويقظة؛ للحفاظ على أركانه، والعمل على ضمان سعادته، ولهذا الغرض، فقد أحاطت ابنتها بوصايا كثيرة تبين فيها طريقة التعامل مع الزوج، ربّ هذه الأسرة، ومدت خطابها بوسائل سعادة الزوجين، ولم تجد هذه الأم الواعية أعزّ من ابنتها؛ لتقدم لها خلاصة تجاربها الزوجية والأسرية؛ من أجل إيجاد جو عائلي يقوم على الحب والوئام، والتفاهم والترابط، والصفاء والنقاء، والطاعة

(ط ١، بيروت: عالم الكتب، ١٩٤١م): ٤٥٨. ينظر: صفوت، أحمد زكي، جمهرة

خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، (بيروت: المكتبة العلمية)، ١٤٥: ١.

(١) طه عبد الرحمن، "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي"، مرجع سابق، ٢١٣: ٢١٥.

(٢) المرجع نفسه، ٨١.

والتعاون، وليس غريباً أن تصدر عن امرأة عركتها الأيام والسنون، وخاضت معترك الحياة فكانت خبرتها عميقة، وهي اليوم تقدم لبنتها حصيلة هذه التجربة لتكون زوجة مثالية. (١) وفي هذا ما يدل على أن الوصايا تنتظم العلاقات الإنسانية في مضمونها، وتشحن من خلالها النفوس بما آلت إليه التجارب والخبرة (٢). ونص الوصية بشقيه اللغوي والبلاغي، يعمق المضامين الحجاجية التي استجمعتها في طيات الملفوظات الحجاجية، وكان لها شأنها في البيان الموجز. وهذا من شأن الوصية في العموم. إذ استخدمت أمامه في هذه الوصية لغة خطاب تميل إلى المباشرة؛ لملاءمة المقام. والخطاب المباشر، الذي يحتاج في أغلب أحواله إلى حجج تقنع من يوجه إليه الخطاب بما يتضمنه من رسائل. وقد نوّعت الأم في الخطاب وأساليبه؛ للوصول إلى نتائج لها أثر على حياة ابنتها.

فالوصية بمنطق حجاجي هي **تذكرة "للغافل، ومعونة للعاقل"**، والقصد من هذا القول تنبيه للموصي لها لما سيأتي، لعلّ الذكرى تنفعها في التشبث، وتمثّل وصايا ومواقف والدتها التي خبرتها من الحياة. وكلما تحكمت الوصية في توجيه خطاب وصيتها لغويًا وبلاغيًا، كانت لها القدرة على التأثير البالغ في نفسية ابنتها؛ لأن البنت في بيت أبويها لن تكون في حاجة إلى هذا التنبيه، كونها مشمولة ومحاطة برعايتهما، خاصة أنها نشأت في بيت أحد رجالات العرب الأشراف في الجاهلية؛ فهي بنت **عوف بن محلم الشيباني**؛ لكنها ستفارق هذا الفضاء إلى قرين لا تعرف طباعه، ولا

(١) الحراحشة، أمينة عبد المولى، "قراءة جديدة في وصايا المرأة العربية في العصر الجاهلي"، مرجع سابق.

(٢) أحمد يوسف، القراءة النسقية: سلطة البنية ووهم المحايثة. (ط ١. بيروت: الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٧)، ٩٥.

تدرك سلوكه.

ومن ثمَّ فإنَّ التنبيه - انطلاقًا من تجربة الأم - واجب؛ لإدامة العشرة والعلاقة الزوجية، ولعل بيان ذلك قول الأم: " ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أوبوها، وشدة حاجتها إليها، كنت أغنى الناس عنه؛ ولكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال." ولما كانت الوصية أداة للتواصل المباشر، وكانت العواطف جزءًا من العملية الإقناعية، فقد جعلت لنفسها موطئ قدم في المقام التخاطبي الذي يراعي مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

إن الدافع لذلك، هو حب الأم لابنتها وخوفها على مصير حياة ابنتها، ومستقبل علاقتها الزوجية؛ فالانفعالات مثلًا تختلف، كما بين أرسطو بحسب السن، (الأم والبنت) كما تختلف بحسب المنزلة الاجتماعية والعائلية (المتزوجة والعازبة). وقاعدة أولوية السامع (الموصى لها) في بناء الحجاج في الوصية، اعتمدها أرسطو في كتاباته كلها، وصرح بها في المقالة الثالثة حيث قال: «كل شيء في هذه الصناعة مجعول للتأثير ومرتب بحسب السامع»^(١). وهذه الميزة تعطي للمقام موقعًا مركزيًا في التواصل الحجاجي، وتمنح للموصى له وضعًا خاصًا في العملية الإقناعية؛ لأن غاية الوصية في نهاية المطاف هي استمالة الموصى لها، وإقناعها بفحوى الوصية. ولا يمكن فصل خطاب الوصية في هذا المقام عن وسائل تشكيل الإيتوس والباتوس واللوغوس على السواء. فالكلام التوجيهي جزء من التشكيل اللفظي لحضور المتكلم، ويتضافر فيه صدق ما تقوله الأم مع ما تعرفه عنها ابنتها مسبقًا. «وإذا كان اهتمام علوم اللغة بالإيتوس مرتبًا بحضور الذات في الخطاب، فإن الإيتوس في البلاغة مفهوم مرتبط

(١) هشام الريفى، "الحجاج عند أرسطو"، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، (تونس: طبعة كلية الآداب، منوبة)، ١٤٧.

بدراسة الوسائل الخطابية التي يقدم بها المتكلم صورته على نحو يجعلها جديرة بثقة السامع، بيد أن إدراك هذه الذات في الخطاب لا ينفصل عن الصورة المترسخة في الذهن عن هذه الذات كما حضرت في العالم، أو في السياق الخارجي»^(١).

ولا شك أن الأم في وصاياها التوجيهية تجمع بين الصورة المتشكلة من خارج الخطاب، بالقدر الذي يعكسه الخطاب نفسه، فالإيتوس الخطابي أو صورة الذات هي نفسها في أثناء الكلام، أو في الحياة الخاصة للأم، وهذه الميزة تجعل مفعول كلامها في ابنتها أقوى، وحدود التفاعلات الباتوسية أعمق. "فأمامة بنت الحارث الشيبانية امرأة فصيحة نبيلة جاهلية."^(٢). وعادة ما يرتبط الإيتوس بالأخلاق والنبيل، وهما قيمتان تستند إليهما الموصية؛ لبناء مصداقيتها لدى الآخر. وتُضاف هذه المصداقية إلى مجموعة من الآليات التواصلية، كالتلطف في القول والاستمداد من الفضائل التي تراعي الأبعاد الاجتماعية المناسبة، وهي حاضرة بقوة في الوصية، حيث (القناعة والطاعة وحسن المعاشرة والهدوء والطيبة والحشمة والرعاية وحسن التدبير.... إلخ)

فالموصية تكون مفضلة كلما استطاعت أن تزواج بين حسن الخلق ومراعاة المقام التواصلية؛ لأن طريقة العرض، وأخلاق الموصي أو الموصية جزء من الصورة الذاتية التي تقوي الاستدلال الخطابي، وتقوي حجية القول، كما أنها جزء من المؤسسة الاجتماعية والثقافية التي حرص المجتمع العربي الجاهلي على تمثيلها والتمسك بها. ومن

(١) محمد مشبال، "في بلاغه الحجاج، نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات"، (ط ٢،

الأردن: دار كنوز المعرفة، الأردن، ط ٢، ٢٠١٦م)، ١٨٠.

(٢) أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، "مجمع الأمثال"، تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط ١،

بيروت: المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، ٢: ١٤٣.

حجاجية الوصية في خطاب المرأة الجاهلية -وصية أمامة بنت الحارث لابنتها نموذجًا، د. خالد سعيد أبو حكمة

ثم لا يمكن للأُم الموصية أن تمارس إرادتها إلا عبر الأطر الاجتماعية والمؤسسية التي من خلالها تعرض وصيتها. بمعنى آخر: الأم تمنح نفسها قوة معينة للتأثير على واقع ابنتها المستقبلي؛ وأن هذه الحرية تعني المسؤولية.

وبهذا الشكل يتآزر الشكل والمضمون في بناء صورة الذات الموصية، وحمل الموصى لها على الإذعان للقول. ولا يكفي أن تتضمن الوصية حججًا راجحة، وإنما يقتضي الأمر الإلمام بطرائق التبليغ، واختيار اللغة المناسبة للتواصل، واحترام المقام في اللهجة، والبيان في النطق، وغيرها من متطلبات الإلقاء والتلقي. وهذا التوجه يجعل من الإيتوس ملمحًا ذا اتجاهين مهمين:

اتجاه يتصل بالموصي: في أخلاقه وهيئته وبيانه.

اتجاه آخر، يتصل بالوصية: في منطقتها وحجيتها.

وتظهر الأم الموصية في هذين المسارين على أنها كائن مزود بمنطق ووعي وروية، تلاحق استراتيجيات الإقناع، الأمر الذي يؤهلها لمخاطبة ابنتها باستعمال آليات حجاجية مقنعة.

ثانيًا: استراتيجية الحجاج البلاغي في وصية أمامة بنت الحارث الشيباني لابنتها أم إياس.

تعد الأمثال من الاستراتيجيات النفيسة في اللسان العربي، إذ استحسناها الأدباء، وملاأت كتب التراث العربي بفضائلها وتفصيلها، وما انتهت إليه من تجارب الحياة يعكس قوة هذا الأسلوب، وتأثيره في المتلقي، وليست القوة نابعة من طريقة القول وإيجازه، وإنما من طريقة البناء التي استوت عليها، وغرابة التصور الضمني، والجودة في المنطق والمرونة في الأداء، ذلك لأن "المثل قول عزيز غريب ليس من

متعارف الأقوال العامة، بل هو من أقوال فحول البلاغة، فلذلك وصف بالغرابة" (١). على هذا النحو بدت الأمثال المخترعة التي احتفت بها الوصية على لسان الأم ركييزة أساسية في تمثيل القيم، وتصوير النصائح. وعلى الرغم من أننا لم نعثر عليها بصيغتها في كتب الأمثال؛ إلا أنها بطريقتها المشوقة، وطابعها الحكيم الذي اتسمت به، وسوقها في مقامها منحتها القبول، فضلاً عن اقترابها من الهم العربي، والوعي بما يصلح الإنسان، وما يفسده أو ما يعكر صفو حياته الاجتماعية، ومن ثم فهي أقرب إلى الذهن العربي بتجاربه الممتدة في الماضي، وهي بالفعل تنقل التجربة بأفقه السديد القائم على المقارنة، بل فيها لمحة سردية؛ وكأنها تنقل للمتلقى أحداثاً تخصه، ومنها:

- الوصية تذكرة للغافل
- الوصية معونة للعاقل
- النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال
- كوني له أمة يكن لك عبداً
- الصحبة بالقناعة
- المعاشرة بحسن السمع والطاعة
- الكحل أحسن الحسن
- حرارة الجوع ملهبة
- تنغيص النوم مغضبة

كل هذه الأمثال نحسبها مخترعة، بوصفها وليدة لحظتها جرت على لسان المودة، وطارت بجناح الخوف من المستقبل؛ فعالجت ما ندر في الماضي، وأصاب ما

(١) محمد الطاهر ابن عاشور، "تفسير التحرير والتنوير"، (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس)، ١: ٢٠٣.

نزل بمن تحلى عنها، واستقبلت من أمرها ما تمت، وجمعت فأوعت، على نحو يجعل من هذا المثل الموجز، أو الأمثلة السردية على تقدير بعض النقاد قوة إقناعية في مساقها التخاطبي، إذ يرى مشبال أن " قيمة المثل التاريخي ليست ذاتية ماثلة فيه، بل هو مرتبط بالسياق التواصلية الذي يخضع له؛ فمثال تاريخي واحد يمكن أن يحدث استجابات متباينة وتأويلات مختلفة"^(١). تحكمها مقاصد المتكلم، وغاياته ومراده، كما هو الحال من وراء المصلحة الأسرية التي هيأت السبب لدى الأم الموصية؛ لتأهيل ابنتها على مواجهة معترك الحياة في وضعيتها الجديدة؛ رغبة في استقرار بنتها، وبناء مستقبلها العاطفي والاجتماعي في بيت الزوجية.

ولاشك أن كل مثال من الأمثلة السابقة له ما يؤيده ضمناً من التجربة الاجتماعية العربية، وعنصرها الأخلاقي الفاعل في البيت و الأسرة، ولا سيما اختصاصها المرأة، المحملة بالهوية في مساقها العربي، إذ تعكس العبارات أو الأمثال مدى الملاحظة الثاقبة من طرف الأم، وأخلاقها؛ " لكيلا تصطدم بأثافي العثرات، وأشواك الحياة التي قد تظهر بفعل حماقة أو بسوء تقدير، أو بجهل تجاه طبع الرجال ومسغبة القيم، التي قد يفتقر إليها بعضهم، حتى لكأنها ترسم مستقبل الفتاة العربية بشكل عام، وإذا كان العقل العربي في الخطاب النسوي أو في غيره " هو عقل متعدد في تكوينه؛ ولكنه واحد في بنيته"^(٢)

كما أن حجة السلطة التي بنيت عليها موجهاات الحجاج المنطقي لدى بيرلمان وتتيكا، قد أسهمت في مسوغات النظر في الواقع، ومعالجة كسوره، والرغبة في

(١) محمد مشبال، "في بلاغه الحجاج"، نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، مرجع سابق. ص ٨٧.

(٢) محمد عابد الجابري، "العقل الأخلاقي العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية"، مركز دراسات الوحدة العربية، (ط١، بيروت، ٢٠٠١م)، ٢٢.

تأسيس منطقة مثالية في التعاطي مع أحداث الحياة، ومتطلباتها، إذ يؤسس في الواقع لرؤية حجاجية عاطفية، وينقلنا إلى الوضعية الجديدة التي اكتسبتها المرأة العربية في خارطة المجتمع العربي، وبنيته الأخلاقية والاجتماعية. وهذه الوضعية أو السلطة التي هيمنت على طابع البنية التخاطبية للوصية قد انطلقت من مسلمة متجاوبة مع تقدير العارفين بالحجاج، و" مفادها أن الأقوال والأفعال المسندة إلى مصدر ذي حظوة يلزم عنها بالضرورة نقل الخطوة إليها؛ أي إننا نقوم بنقل القيمة المتفق عليها من المصدر إلى أقواله وأفعاله"^(١)

وبناء على هذا التصور تصبح سلطة الأم في بيتها سلطة رمزية، تستمدتها من مكانتها الاجتماعية داخل العائلة، وكذلك تستمد قوتها من منطقتها الإقناعي، وصددها الأخلاقي الذي يعزز شرعيتها في المجتمع الجاهلي، وكأنها عقلانية شبه منطقية، تؤسس في أطروحتها لعالم رفيع من الوعي والأخلاق، والمسؤولية المجتمعية. ومن هذا المنطلق؛ فإن ما بدا واضحًا على خطاب الوصية يترجم هذا الوعي، ونقصد بناء الأحكام التي ذهبت إليها على أساس ما تمتعت به المرأة العربية في ذاتها، واختصت ابنتها عسى أن تجد ما يسوغ بناء الذات في صورة أخرى من نساء بني شيبان، التي تنتمي الأم وابنتها إليهم، وهو جذر ممتد في جوهره بالهوية العربية، إذ لا يمكن التحرز بالقبيلة ونسيان الشأن العربي كاملاً، ومن ذلك قولها:

- لو أن امرأة استغنت عن الزوج ... كنت أغنى الناس عنه.
- أي بنية إنك فارقت الجو الذي منه خرجت...
- فأصبح بملكه عليك رقيبًا ومليغًا: فكوني له أمة بكن لك عبدًا.

(١) محمد مشبال، "في بلاغه الحجاج، نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات"، مرجع سابق، ١٣٥.

- أي بنية: احملي عني عشر خصال تكن لك ذخراً وذكرًا.

ونتلمس من وراء هذه العبارات قدرة السلطة الاجتماعية والأخلاقية التي تتمتع بها الأم في الأسرة العربية، ومكارم الأخلاق التي تسندها في شعاب الحياة ومسالكها الوعرة. ومن ثم؛ فإن خطاب الأم وبناء الوصية ناشئ من حرصها على مشاركة السلطة لمن ترعى مصالح رعيته. أي إن سلطة الأم تبني سلطة أخرى جديدة، وتكوين سلسلة من التدخلات القديرة لتحقيق الوثام في المجتمع وإشاعة المودة بين الزوجين.

ومما يتصل بهذا السياق، ويؤسس لبنية الواقع من الحجج شبه المنطقية ما اختصه بيرلمان بـ(حجة القدوة)، إذ يرى أن " الحجاج بالقدوة، مثله مثل حجة السلطة، إذ يفترض وجود سلطة تكون ضامنة للفعل المزمع القيام به.. والشخص القدوة يحسم بنفسه، فيما يحسن القيام به"^(١)

وبهذا المنظور، والعلاقة المتعاضدة بين حجة السلطة وحجة القدوة يتأصل في الخطاب النسوي للمرأة الجاهلية قدرتها على التخاطب، وبناء سلاسل حجاجية مقنعة بمقتضى الأنموذج الاجتماعي للمرأة العربية في زمنها الملتهب، وبيئتها القلقة، إذ لم تكن المرأة في أحسن حال، خاصة إذا ما قورنت بعد ظهور الإسلام ونزول القرآن الكريم وتكريمها، وتحسين شروط العلاقة بين الذكر والأنثى. من أجل ذلك اختصت أمامة بنت الحارث ابنتها بالوصية لبناء أنموذج قدير في تصور المجتمع للمرأة، وفاعليتها في الحياة الاجتماعية، ومشاركة الرجل في إدارة شؤون حياته، متجاوزة النظرة السالبة نحوها.

(١) الحسين بنو هاشم، "نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان"، (ط ١: دار الكتاب الجديد المتحدة،

مارس ٢٠١٤م)، ٨٦.

وبناء على هذا تشكل القدوة ملمحًا جديرًا بالنظر في الأم أولاً ثم ابنتها، أي إن استدعاء النصائح وتوجيه ابنتها لاكتساب الخبرة الجديدة يقرب المتلقي من استدعاء نماذج الاقتداء الضمني، وتتمين أفعال الأم، ودورها في تربيتها. وعلى هذا الأساس فإن كل ما نطقت به الأم في سياق الوصية توجيهًا وتقومًا هي بالضرورة مساحة لتعزيز القدوة في الفتاة العربية، وفي ابنتها بوجه خاص، ولا نبالغ إذا قلنا: إن الوصية ثمرة القدوة التي منحت الأم سلطة القول، وعززت موقعها في الخطاب التداولي، وبها قوي الحجاج وزاد منسوبه في التمثيل الخطاب الأدبي. وباعتبار القدوة، صارت أمامة بنت الحارث وابنتها في سياقها التربوي نموذجًا لكل أم عربية، وفتاة تنشأ الاستقرار في حياتها الزوجية.

إن الحجاج في منظور البلاغة الجديدة بما استوى عليه، وبما أثمر في الوظائف الاتصالية، قد بلغ حدًا من الشمولية في مقارباتها، يستهوي القارئ في إضاءة بصائر قديرة في التمثيل الأسلوبي، ومنها التعليل أو التبرير القائم على بنية الواقع، وما يتأسس عليه ذكر المسوغات والأسباب التي تتأرجح بين السبب والنتيجة، وبينهما تكمن النجاعة، ويتحصل الإقناع في السامع، ومن نماذجه في الوصية، قولها:

- التعهد لوقت طعامه، والهدوء عنه عند منامه؛ فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة،
- ولا تفشي له سرًا، ولا تعصي له أمرًا؛ فإنك إن أفشيت سره، لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره، أو غرت صدره،
- انقي من ذلك الفرح إن كان ترحًا، والاكتئاب عنده إن كان فرحًا؛ فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير،
- وكوفي أشد ما تكونين له إعظامًا، يكن أشد ما يكون لك إكرامًا، وأشد ما تكونين له موافقة، يكن أطول ما تكونين له مرافقة.

وفي الطبيعة التأملية التي اختصتها الوصية بهذه التعليقات يتجدد الفكر العربي، وتفتح في وقت مبكر نحو مسائل وجودية في تعلقها بالرجل؛ ليس بوصفه ذكرًا، وإنما كونه رب الأسرة، وعليه حمل السلطة في مجالات الأخلاق والسياسة والتفاعل الحضاري، إذ تبدأ كل هذه البنى من البيت، حتى يكون قادرًا على التعامل مع الحياة وأسبابها خارج البيت.

وبذلك فإن التعليل ليس ثيمة تصورية للبنية التداولية في حجاجية الوصية وكفى، بل إن التعليل والتبرير يقتضيان إطارًا إقناعيًا مختلفًا عن سابقه، ومنه تنشأ في سياق البحث مقتضيات التخاطب، على أن هذه القسمة بين تداولية الوصية وحجاجيتها مبنية على حسن تقدير الأم، وثقافتها الإنسانية العملية التي تستند إلى الخبرة والتجربة على مر السنين مع النساء العربيات، ونقل هواجس المرأة العربية في سياقها القومي، وآفاقها الكونية.

وفي سياق الأسلوب التصويري لم نجد أسلوبًا حجاجيًا باذخ الدلالة في

الوصية مثل الاستعارة، تتعاقد مع الكناية؛ لإنتاج الصورة المدهشة التي أنتجتها، وهي تغني عن غيرها، ولا يحتمل البحث التركيز على كل الأساليب، ومن ثم فإن الصورة الاستعارية لها دور فاعل في تأويل الخطاب الحجاجي عمومًا، وتمثل إحدى التقنيات الخطابية التي بنيت عليها العملية التواصلية، وقويت بها إلى جانب الوسائل الأخرى، إذ قربت المسافة الجمالية والحجاجية بين الأم وابنتها، ومنحت الخطاب بينهما قوة تأثيرية. ومن نماذجها: (العش): فهي استعارة تصريحية حيث شبهت بيت أبيها بالعش، وحذفت المشبه وصرحت بالمشبه به (العش)، وفي هذه الاستعارة إحاء بالسعادة والعناية، وإحساس بالأمان والرعاية. وعندما شبهت بيت الزوجية بـ(وكر) أوحى بالاستقرار والحماية. وهنا أيضا ورغم التصريح بالمشبه به، إلا أن خفاء وجه الشبه أعطى للاستعارة بعدًا جماليًا جديدًا، وأثار في الوقت نفسه لمحة حجاجية

فلسفية فكرية، واستدعت مكونات النفس والعقل لدى المتلقي؛ ليعرف مدى الشبه بين الوكر وبيت الزوجية، ويشير في النفس تساؤلاً مفاده: هل من الأولى أن تصف بيت الزوجية بالعش؟ ولكن المتأمل في جمال البيان ودقة الاستعارة، يجد وجه الشبه متمثلاً في فكرة الدوام، فالعلاقة الزوجية التي أردتها أمها لها أبدية، فوصفت بيت الزوج بالوكر. وحياة البنت في بيت أبيها مهما طالت فهي مفارقة لها، ولذا وصفته بالعش، ولا يخفى ما للوكر من دوام وقرار، وما للعش من انقطاع أو زوال. وهذا ما ينطبق على قول الجرجاني: "وأما الاستعارة فسبب ما ترى لها من المزية والفخامة أنك إذا قلت: رأيت أسداً كنت قد تلطفت لما أردت إثباته له من فرط الشجاعة، حتى جعلتها كالشيء الذي يجب له الثبوت والحصول، وكالأمر الذي نصب له دليلاً يقطع بوجوده. وذلك أنه إذا كان أسداً فواجب أن تكون له تلك الشجاعة العظيمة، وكالمستحيل أو الممتنع أن يعرى عنها. وإذا صرحت بالتشبيه فقلت: "رأيت رجلاً كالأسد كنت قد أثبتها إثباتاً لشيء يترجح بين أن يكون وبين ألا يكون، ولم يكن من حديث الوجوب في شيء"^(١). وهنا تظهر براعة أمامة بنت الحارث في تحويل ما هو معنوي غير محسوس إلى مادي ملموس، مستغلة العلل الحجاجية التي تنفذ إلى المتلقي مباشرة، مما يحقق غاية المحاج، حيث المتلقي هو الهدف والغاية.

وتجري الكناية على هذا المنوال الحجاجي المصوّر، الذي يتجاوز بها المباشرة والتقريبية، ومردّها بحسب عبد القاهر الجرجاني إلى "إن السبب في أن كان للإثبات بها مزية لا تكون للتصريح، أن كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه، أن إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، أكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء

(١) عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز". تحقيق: محمود محمد شاكر. (ط٣)، القاهرة:

مطبعة المدني، ١٩٩٢م، ٧٣.

إليها فثبتها هكذا ساذجاً غفلاً، وذلك أنك لا تدع من يشاهد الصفة ودليلها إلا والأمر ظاهر معروف، وبحيث لا يشك فيه، ولا يظن بالمخبر التجوز والغلط^(١). وهي كذلك إحدى وسائل الحجاج البلاغي؛ لأنها تتميز بالثبات والتأكيد للخبر، المتمثل في خفائه؛ ليكون أقوى منه لو كان في التصريح؛ فهي "في أصل الوضع أن تتكلم بشيء، وتريد غيره"^(٢) وتأتي في الخطاب لإثبات المعنى، والاحتجاج له بالمعاني المرادفة له، فهي أسلوب يتبعه المرسل؛ لإثبات معنى الدليل؛ لإقناع متلقيه بخطاب تلمحي حجاجي. ومن أمثلة الكناية في نص الوصية:

- ولكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال
- فكوني له أمة يكن لك عبداً وشيكاً
- لم تأمني غدره،

- حتى تؤثر رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت

إن هذه الكنايات السريعة على قلتها تعد مساهمة فعالة في خطاب الوصية، بل إنها تمثل إحدى مراكز الثقل الحجاجي في المدونة، إذ وضعت حدًا مضمرًا، غير مصرح به لما ينبغي أن تفهمه البنت، ويتحول في حياتها إلى تقليد قدير، أو عقد فريد، أو أشبهه بفن الحياة الزوجية. وتكمن فاعليتها في أن خلقت جوًا يتفطن له العاقل، ويزيد معرفة الجاهل بأن قولها: "ولكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال" كناية عن الحاجة البيولوجية والنفسية بين الطرفين، وهذا يتجاوب في صداه مع قوله تعالى: "هُنَّ لِيَأْسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسَ هُنَّ" البقرة: ١٨٧، وغياب أحدهما عن الآخر يكون متعذرًا على الوجه القويم في الحياة الإنسانية، وستغيب ملامح الأسرة، أو

(١) المصدر نفسه، ص. ٧٢.

(٢) المصدر نفسه، ص. ٧٢.

تندم علامات المجتمع في أعز كيان، ولا ينشأ إلا في كنف الزوجين. وكذلك قولها: "كوني له أمة يكن لك عبدًا وشيكًا" كناية عن احترام أحدهما للآخر، ومسوغ هذا التقدير الاعتراف بفضلته وإكرامه لها، وإن اختل الميزان الاجتماعي بينهما، وتلاشى الاحترام فلا شك لم تأمن غدره، كناية عن الانفصال، والأمر موصول بقولها: حتى تؤثر رضاه على رضاك، وهواه على هواك، إذ يعكس الوعي بالإيثار، والصبر على المكاره، وتحمل الزوج في أوقات الشدائد.

وبالمجمل فإن الكناية قد أسهمت في صناعة الرقي في العلاقة بين الزوجين، وانبثقت معانيها من صيغها مؤيدة بالدليل عليه، في إيجاز وتجسيم لهذا المعنى، فهي آلية حجاجية سبقت للمتلقى في مزيج بين التصريح والتلميح.

إن الحجاج على هذا النسق من التصوير البياني يتكامل مع التصوير البديعي المنوط بالحاسة السمعية، وأعز ما يمكن تأمله في الوصية يترايط بأسلوب السجع، وهو من السمات المميزة للنثر عامة، ويعتمد جرسه على حاسة السمع ف"الكلام أصوات محلها من الأسماع محل النواظر من الأبصار"^(١)، ولهذا نجد أن: "الفصاحة بالمعنى الاصطلاحي القديم كان يُراد بها رنين الألفاظ، وهذا قريب من مرادنا بكلمة الجرس، وكثيراً ما كان الأوائل يستعملون لفظة الجزالة، يعنون بها رنين الألفاظ... فكلمة الجرس التي نستعملها نحن المعاصرين، أدل منها على القصد، فصوتها نفسه يشعر بمعناها، وهي بعد لفظي واسع المدلول، ينضوي تحته كل ما يتعلق بدنونة الألفاظ في البيان الشعري"^(٢) وبناء على هذا التصور حظي بهندسة صوتية، قادرة

(١) أبو الحسن علي عبد العزيز الجرجاني، "الوساطة بين المتنبي وخصومه". (مطبعة عيسى البابي الحلبي). ٤١٢٠.

(٢) عبد الله الطيب، "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها"، (ط ٢)، الكويت، طبعة حكومة

على الإقناع، إذ كل دفقة صوتية يتولد عنها قيمة مميزة في طريقة وروده، واستقبال من أمره ما استلزم بالضرورة بيانه، إذ أسهم التكرار و الجناس في تشوير الخطاب، وفرض السجع سلطته الإيقاعية لإحداث التشويق، ورد المعاني بإيقاعاتها مردًا حجاجيًا يقنع ويمتع، على نحو ما نرى في النماذج الآتية: (للغافل/ للعاقل، أبوبها/ إليها، خرجت/ درجت، القناعة/ الطاعة، ملهبة/ مغضبة، ماله/ عياله، التقدير/ التدبير، غدره/ أمره، إعظامًا/ إكرامًا)

ولأن القيمة الحجاجية للأصوات ليست مجرد حصيلة إخبارية مقدمة من صاحب الوصية فحسب، ولكن الأمر يتعدى ذلك إلى تطويع السجع لخدمة الوصية، وليس العكس، ومن هنا تكمن فاعليتها في ترتيب الأفكار بطريقة تتناسق مع الفكرة وسجعها، بهدف الإقناع والإمتاع، وموافقة السجع للتكرار والجناس يزيد من خبرية الوصية، ويرفع شأنها الإيقاعي. ومن ثمَّ فإن ما استقر في وعي الأم من الضرورات التربوية والنفسية، والأخلاقية والاجتماعية، فرض استدعاء مثل هذه اللغة الإيقاعية، بعناصرها المتناظرة والمتعارضة، الأمر الذي خلق حالة من التداعي في الوصف، والتفاعل في الحوار.

ثالثًا: الوسائل اللغوية الحجاجية في وصية أمامة بنت الحارث.

ينطلق تيار التداولية المدمجة لجان كلود أنسكومبر وأزفالد ديكرو في مقارنة الخطاب - الأدبي وغيره - من مبدأ عام مفاده: أننا نتكلم عامة بقصد التأثير، وهو تيار يحاول أن يبين محمول اللغة الذاتي، وعلاقتها بالطابع الحجاجي والوظيفة

الإقناعية، أي إن هذه الوظيفة مؤشر لها في بنية الأقوال نفسها، وفي المعنى، وكل الظواهر الصوتية، والصرفية، والمعجمية، والتركيبية، والدلالية.

وتنتهي دراسة الحجاج إلى البحوث التداولية المعنية باكتشاف القواعد الداخلية للخطاب، والمتحكمة في تسلسل الأقوال، وتتابعها بشكل متنام وتدرجي، وبعبارة أخرى فإن الحجاج يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب.^(١) وهذا المسعى الذي اختطه التداوليون يعزز فكرة الإنجاز الذي تحققه أفعال الكلام، وله مؤشرات القياسية، ووضعيته الخاصة ومراتبه بين المتخاطبين، إذ لا يمكن تفسيره دون إبراز مراتب المتكلمين وأدوارهم في هذا المستوى من التصور الاستعمالي الجديد.

ويندرج ضمن هذا التصور، أن التداولية وهي تؤدي مهامها الجديدة في سياق التأمل لطبيعة الكلام، ومراتب الخطاب أن تقف عند كل ما يمكن إدراكه، ويحسن تأمله من الروابط والعوامل اللغوية، وغيرها من الوسائل الحجاجية التي تسهم في ربط المقدمات و النتائج، بما يحقق الوظيفية الإقناعية، التي تقارب مسارها بوصفها أسس العملية التواصلية في الخطاب الحجاجي، وأهم ما تنوعت به الوصية يتركز على أدوات العطف، والاستدراك، والشرط، ومنها:

- (الوصية) ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل.

- (الزواج)..... ولكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال.

- (الزوج) ... فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً.

- فإن حرارة الجوع ملهبة.

- فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير.

- فإنك إن أفشيت سره، لم تأمني غدره.

(١) أبو بكر العزاوي، "اللغة والحجاج"، (ط١، مؤسسة الرحاب الحديثة، ٢٠١٤)، ٧٧.

- (الفرح إن كان ترخاً) ... فإن الخصلة الأولى من التقصير

- لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك.

إن هذه المتوالية من الوسائل الحجاجية تكشف عن الوعي اللغوي لدى الأم، ومراعاتها لقيمة الحجج وروابطها، إذ لا يستقيم كلام، ما لم تكتمل صورته الذهنية في الخطاب؛ لتخفيف صرامة الأمر والنهي، والتحذير والوعيد، التي قد لا تحسنه أو لا تستجيده بعض الأمهات في نصائح البنات، وهذا دليل على المعرفة المسبقة لدى أمامة بنت الحارث بالمعطى المشترك بين المقدمات والنتائج؛ لذلك تنوعت الوسائل بين الاستدراك، والاستئناف، والتوكيد، والشرط، وكلها من محاسن القول في سياق الحس المشترك للقيم والعلاقات الإنسانية، إذ تُستدعى في مقام الخطاب؛ لضمان مشروعية تلقي الوصية والشعور بالمسؤولية، وتقويض حالة الفرع، والتعارض بين المتكلم والسامع. ولا شك أن ما حققته الروابط السابقة، هو القدرة على وصل ما قبلها بما بعدها، وقدرتها على حمل المعاني الاحتمالية في سياق الإفهام وإزالة الإبهام الذي ينشأ في سياق التخاطب.

أما العوامل الحجاجية من قبيل: "ربما، تقريباً، كاد، قليلاً، كثيراً، ما، إلا، وجُلَّ أدوات القصر"^(١)، فقد تقاسمت مع الروابط السابقة معالم التفكير التخاطبي في الوصية، واستحقت أن يكون لها شأن معياري في إمكانات التأثير المتبادل بين الرابط والعامل، ولا سيما أن أحد أسباب القسمة يعود إلى حالة التآخذ بين المنطق واللغة والبلاغة، إذ تتداخل المعاني بين هذه الحقول؛ ليصح معها النظر في تفسير الاقتسام الأسلوبي بين مصادر الحجج، وتنظيمها في وصية أمامة بنت الحارث، وغدت "قوالب، لها أدوارها التي تنظم العلاقات بين الحجج والنتائج، أو تعين المخاطب

(١) المرجع السابق، ٦٤.

على تقديم حججه بالطريقة التي تناسب السياق^(١). وبهذا المعطى فإن الوصية تكاد تخلو من هذه الألفاظ بصورتها اللفظية؛ ولكنها معنية في حيثياتها بألفاظ أخرى، لها فاعليتها في جرد القيم، وضبط مسار الوصية، "وكأنها عوامل أو ملفوظات خطائية أسهمت في رسم خارطة العلاقة الزوجية بمعطياتها الإقناعية، ذلك أن الإقناع يحصل لدى المتكلم بمجرد أنّ القضية المعروضة عليه جاءت موجّهة توجيه إثبات"^(٢). أو نفي متأصل في سياقه الموجب، ومنها: (لم تألفيه، الصحبة، المعاشرة، الطاعة، حسن التقدير، الفرح، الاكتئاب، العيال، التدبير، التقصير، التكدير، الإكرام، الإعظام، الهوى) وهذه الملفوظات ومحمولاتها تزيد معانيها أو تنقص بحسب المقاصد، نراها مقاييس فارقة في تمثيل الخطاب العاطفي بين الأم وابنتها.

كما أن الموجهات الإلزامية تدرج ضمن التقنية التخاطبية التي اشتغلت بها الوصية، وأسهمت في بناء الوعي لدى الفتاة، وتعزيز قيمة الذات بطرائق لسانية متباينة، فالأفعال القصديّة الإنجازية بالأمر و النهي يؤطر البعد الحجاجي في مساقه التأثيري، ويفتح الوصية أمام المرأة العربية للقوى الإدراكية والتصورية لما ينبغي أن تكون عليه في المجتمع العربي، وتحسين شروط البناء الأسري، ومن ثمّ فقد أكثرت من أدوات التعبير الإلزامي في وصيتها، وهو متمثل في الأمر والنهي (كوني/ احملي/ لا تقع عينه/ لا يشم/ لا تفشي/ لا تعصي/ اعلمي) والغرض من هذا التوجيه الإلزامي، إلزام الفتاة بما توصيها به أمها، لما فيه من خيرها وهناء عيشها. وقد استطاعت من

(١) عبد الهادي بن ظافر الشهري، "استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية"، (ط١)،

بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة، (٢٠٠٤)، ٧٩.

(٢) عبدالله صولة، "الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، (ط١)، بيروت، دار

الفارابي، (٢٠٠٧م)، ٣٢.

حجاجية الوصية في خطاب المرأة الجاهلية -وصية أمامة بنت الحارث لابنتها نموذجًا، د. خالد سعيد أبو حكمة

خلال هذا التوجيه أن تقترب أكثر من إقناعها برسالتها التي أوصت من أجلها، وحملها على جعلها دستور حياتها، وما ذلك إلا لقوة الحجج التي أوردتها، ورجاحة عقل المتلقية في معرفة أنها خير لها. فلغة الأم "تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفية حجاجية وبعبارة أخرى، هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها"^(١). ومنها قدرة اللغة وتوظيفها من أربابها المتكلمين بها، فكانت قدرة أمامة بنت الحارث، موظفة جيدة لملكها الفطرية في التوجيه الحجاجي للألفاظ. مستعينة في ذلك بفطرتين: فطرة الأم المحبة لابنتها، وفطرة اللغة التي هي من تكوين العربي الجاهلي. ولأن الكلام هو الدخول في علاقة حوارية مع الغير بمعنى: أن الذي يحدد ماهية الكلام إنما هو طبيعة العلاقة التخاطبية، فاعتمد الخطاب الحجاجي في الوصية على أطر محددة. وكان خطاب الأم رسالة موجهة إلى ابنتها، وهي رسالة لا تقف عند حدود الإبلاغ والتبليغ، بل تتجاوز ذلك إلى تمكينها مما وجه إليها من خطاب؛ لأن فائدة الكلام الخطابي هو إثبات الغرض المقصود في نفس السامع، كما ربطت الكلام والأثر الروحي الذي يترتب عليه، وذلك في وصف بيت الأب بالعش، وبيت الزوج بالوكر ولا شك أن في ذلك طرحًا حجاجيًا قائمًا على المفارقات التي سوف تشعر بها البنت. فكان الطرح تمهيدًا لما هو آت من وصايا، تحيل الأمر من موضع الصعوبة إلى موضع المعاشة والتلاؤم في الوضع الجديد.

(١) طه عبد الرحمن، "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي"، مرجع سابق، ٢٢٥.

نتائج البحث

يمكن رصد أهم النتائج التي انتهى إليها الباحث، وسجلها البحث في هذا المقام، على النحو الآتي:

أولاً: يقدم خطاب الوصية في التراث العربي مثلاً حياً للممارسة الحجاجية الفاعلة في أبعادها البلاغية والتداولية والمنطقية.

ثانياً: أسهم المنهج الحجاجي في إثبات نصية الخطابات المنجزة، وتفسير نوعية العلاقة التواصلية القائمة بين المتكلم (الموصي) والمتلقي (الموصى لها) عبر نص الوصية المنتج، وكذا نوع الأفعال الغوية والأساليب التداولية المنجزة في مقامات التواصل المختلفة.

ثالثاً: يعتمد التحليل الحجاجي في الوصية على تقديم عدد كبير من الحجج المنتقاة من واقع الخبرة والمراس، والمرتبة ترتيباً متابعياً محكماً؛ لتترك أثرها في المتلقي، وهذه الخاصية تجعله يتميز عن البرهنة.

المصادر والمراجع

الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور، "المستطرف في كل فن مستطرف"، (ط ١، بيروت، عالم الكتب، ١٩٤١م).

أرسطو، طاليس، "الخطابة: الترجمة القديمة"، تحقيق. (دار القلم: بدوي، د- ت. إسماعيل، علوي حافظ، "الحجاج مفهومه ومجالاته"، (إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠).

أعراب حبيب، "الحجاج والاستدلال الحجاجي استقصاء نظري"، مجلة عالم الفكر، مجلة دورية تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١(٣٠)، (٢٠٠١).

الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف، "المنهاج في ترتيب الحجاج"، تحقيق: عبد المجيد تركي. (ط ٢، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٧).

الجرجاني، عبد القاهر، "دلائل الإعجاز: تحقيق: محمود محمد شاكر. (ط ٣، جدة: مطبعة المدني: دار المدني، ١٩٩٢م).

الجرجاني، علي عبد العزيز. "الوساطة بين المتنبي وخصومه". (مطبعة عيسى البابي الحلبي).

الجويني، "الكافية في الجدل"، تحقيق: فوقية حسين محمود، (القاهرة: طبعة البابلي الحلبي، ١٩٧٩).

الحراشنة، أمينة عبد المولى، قراءة جديدة في وصايا المرأة العربية في العصر الجامعي مركز اللغات، الجامعة الهاشمية، المملكة الأردنية الهاشمية. مؤتمر آفاق الخطاب النقدي الدولي الثالث الخطاب الأدبي في العصر الجاهلي: الرؤى والتحديات جامعة آل البيت ١٩/١٨ أكتوبر ٢٠١٦.

الخلي، نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير، "جوهر الكنز"، تلخيص كنز البراعة في

- أدوات ذوي البراعة، تحقيق: محمد زغلول سلام. (الاسكندرية، مصر: الناشر منشأة المعارف، (د.ت)).
- الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان، "سر الفصاحة". (ط ١). دار الكتب العلمية. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، (١٩٨٢م).
- الرقابي، رضوان، "البلاغة والحجاج": بحث في تداولية الخطاب، أفريقيا الشرق، (المغرب: الدار البيضاء).
- الرفيقي، هشام، "الحجاج عند أرسطو"، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، (طبعة كليه الآداب، تونس: منوبة).
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر، "استراتيجيات الخطاب"، مقارنة لغوية تداولية، (ط ١، بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة، ٢٠٠٤).
- صفوت، أحمد زكي، "جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة"، (بيروت، لبنان: المكتبة العلمية).
- صولة، عبد الله، "الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته"، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج، (تونس: كلية الآداب منوبة. إشراف حمادي صمود).
- صولة، عبد الله، "في نظرية الحجاج وتطبيقاته". (ط ١، تونس: مكتبة مسكلياني، ٢٠١٠).
- صولة، عبد الله، "الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية"، (ط ١، بيروت، لبنان، دار الفارابي، ٢٠٠٧).
- طروس، محمد، "النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية"،

(ط ١، الدار البيضاء، دار الثقافة، ٢٠٠٥).

الطيب. عبد الله: المرشد، " إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، (ط ٢. الكويت، طبعة حكومة، ١٨٨٩).

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، "العقد الفريد"، (ط ١، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ).
عبد الرحمن، طه، "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي"، (المغرب، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، المغرب).

عبد النبي، ذاك، "الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية تطبيقية في البلاغة الجديدة"، مجلة عالم الفكر، الكويت، ٢(٤)، (٢٠١١): أكتوبر-ديسمبر.
العزاوي، أبو بكر، "اللغة والحجاج"، (ط ١، مؤسسة الرحاب الحديثة، ٢٠١٤).
علوي، حافظ إسماعيل، "الحجاج مفهومه ومجالاته"، (إربد، الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠).

عوض، محمد صادق عبده، دستور العلاقة الزوجية في ضوء وصية أمامة بنت الحارث،
قدم له الدكتور الطاهر أحمد مكي، اعتنى به بهاء الدين عقيل، دار طيبة،
(ط ١، ١٤٣٠هـ).

محمد، مشبال، "في بلاغه الحجاج، نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات"،
(ط ٢، الأردن، ط ٢، دار كنوز المعرفة، ٢٠١٦م).

ابن منظور، محمد بن مكرم، "لسان العرب"، تحقيق علي سيري، (ط ١، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م).

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد، "مجمع الأمثال"، تحقيق /محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط ١/ بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ٢/ ١٤٣).
الولي، محمد، "الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية"، (الرباط: منشورات دار

الأمان، دار الكرامة، ٢٠٠٥).

الولي، محمد، "مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان"، مجلة عالم الفكر، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٤(٢)، (٢٠١١)، أكتوبر.

يوسف، أحمد، "القراءة النسقية: سلطة البنية ووهم المحاثة". (ط ١، بيروت: الدار العربية للعلوم. ٢٠٠٧م).

Bibliography :

- Al-Abshihi, Shihab al-Din Muhammad bin Ahmad bin Mansour, The Extremist in Every Extremist Art, The World of Books, Beirut, 1st edition, 1419 AD.
- Aristotle Thales: The Rhetoric: The Ancient Translation, investigation: Badawi, Dar Al-Qalam, Beirut, (D-T).
- Ismail, Alawi Hafez, Al-Hajjaj, its concept and fields, The Modern World of Books, Irbid, Jordan, 2010, 1.
- Arab Habib, Al-Hajjaj and Argumentative Inference A Theoretical Investigation, Alam Al-Fikr Journal, a periodical magazine issued by the National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, No. 1, Volume 30, July-September 2001.
- Al-Baji, Abu Al-Walid Suleiman bin Khalaf, Al-Minhaj fi Artib al-Hajjaj, investigation: Abdul Majeed Turki, Dar Al-Gharb Al-Islami, 2nd Edition, 1987,
- Al-Jurjani, Abdel-Qaher, Evidence for Miracles, investigation: Mahmoud Muhammad Shaker. Al-Madani Press, Cairo - Dar Al-Madani, Jeddah, 3rd edition, 1992 AD.
- Al-Jurjani, Ali Abdel Aziz. Mediation between Al-Mutanabbi and his opponents. Issa Al-Babi Al-Halabi Press.
- Al-Juwayni: Al-Kafia fi Dijal, investigation: Fawqia Hussein Mahmoud, Al-Babil Al-Halabi edition, Cairo, 1979.
- Al-Harashah, Amina Abdel-Mawla: A New Reading in the Commandments of Arab Women in the Academic Era, Language Center, The Hashemite University, The Hashemite Kingdom of Jordan. The Third International Critical Discourse Horizons Conference, Literary Discourse in the Pre-Islamic Era: Visions and Challenges, Al al-Bayt University, October 18/19, 2016.
- Al-Halabi, Najm Al-Din Ahmed Bin Ismail Bin Al-Atheer: The Essence of Treasure, Summary of the Treasure of Dexterity in the Tools of the Dexterous, Investigation: Muhammad Zaghloul Salam. Publisher: Knowledge facility, Alexandria, Egypt. (D.T.).
- Al-Khafaji, Abu Muhammad Abdullah bin Muhammad bin Saeed bin Sinan, The Secret of Eloquence. I 1. Scientific Books House. Dar Revival of Arabic Books, Issa Al-Babi Al-Halabi and his partners., 1st edition, 1982 AD.
- Al-Raqabi, Radwan: Rhetoric and Hajjaj: Research in the Pragmatics of Discourse, East Africa, Casablanca, Morocco.
- Al-Rifi, Hisham: Al-Hajjaj at Aristotle, within the book The Most Important Theories of Al-Hajjaj in the Western Traditions from Aristotle to Today, supervised by: Hammadi Samoud, published by the Faculty of Arts, Manouba, Tunisia.
- Al-Shehri, Abd al-Hadi bin Dhafer, Discourse strategies, a pragmatic

- linguistic approach, The New United Book House, first edition, Beirut, 2004.
- Safwat, Ahmed Zaki, The Collective of Arab Speeches in the Prosperous Ages of Arabia, the Scientific Library, Beirut, Lebanon.
- Soula, Abdullah, Al-Hajjaj's frameworks, premises and techniques, among the most important theories of Al-Hajjaj in the Western tradition from Aristotle to today, Research Team in Rhetoric and Al-Hajjaj. Faculty of Arts, Manouba, Tunisia. Supervised by Hammadi Samoud.
- Soula, Abdullah. In argument theory and its applications. 1st edition. Mescagliani Library, Tunis. 2010.
- Soula, Abdullah, Al-Hajjaj in the Qur'an through its most important stylistic characteristics, 1st edition, Dar Al-Farabi, Beirut, Lebanon, 2007.
- Tarous, Muhammad, The argumentative theory through rhetorical, logical and linguistic studies, Dar Al Thaqafa, Casablanca, 1st Edition, 2005.
- The good. Abdullah: the guide. (1989). To Understanding Arab Poetry and Its Industry, 2nd Edition. Kuwait Government Edition.
- Ibn Abd Rabbo, Ahmed bin Muhammad, The Unique Contract, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, 1st edition, 1404 AH.
- Abd al-Rahman, Taha, The Tongue and Balance or Mental Reproduction, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco.
- Abd al-Nabi, Zakir, al-Hajjaj, its concept and fields, theoretical and applied studies in the new rhetoric, Alam al-Fikr magazine, Kuwait, Issue 2, Volume 40, October-December 2011.
- Al-Azzawi, Abu Bakr: Language and Hajj, Modern Rehab Foundation, first edition, 2014.
- Alawi, Hafez Ismail, Al-Hajjaj, its concept and fields, The World of Modern Books, Irbid, Jordan, 2010.
- Awad, Muhammad Sadeq Abdo, The Constitution of the Marital Relationship in the Light of the Will of Umamah Bint Al-Harith, presented to him by Dr. Al-Taher Ahmed Makki, who was taken care of by Bahaa Al-Din Aqil, Dar Taibah, first edition 1430 AH.
- Meshbal Muhammad: In his rhetoric of pilgrims, towards a rhetorical approach to analyzing discourses, Dar Treasures of Knowledge, Jordan, 2nd edition, 2016 AD.
- Ibn Manzoor, Muhammad bin Makram, Lisan Al-Arab, investigation by Ali Siri, Dar Revival of Arab Heritage, Beirut, 1st edition, 1408 AH - 1998 AD.
- Al-Maidani, Abu Al-Fadl Ahmed bin Muhammad, Majma' Al-Athbulah, investigation / Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Al-Maktaba Al-

- Asriyyah, Beirut, 1st edition, 1428 AH-2007 AD, 2/ 143.
- Al-Wali, Muhammad, Metaphor in Greek, Arab and Western Stations, Dar Al-Aman Publications, Al-Karama Press, Rabat, 2005.
- Al-Wali, Muhammad, Introduction to Hajjaj Plato, Aristotle and Chaim Perlman, World of Thought magazine, published by the National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, Volume 40, Number 2, October, 2011 AD.
- Youssef, Ahmed, Systematic Reading: The Authority of Structure and the Illusion of Immanence. I 1. The Arab House of Sciences. Beirut. 2007 AD.





الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

Journal of

Arabic Language and Literature

Vol : 7

Part : 2

Jan - Mar 2023